

أحد الفريسي والعشار

الأحد القادم يُسمى " أحد الفريسي والعشار " هو الأحد الأول من الفترة التحضيرية والتي تتألف من أربعة آحاد قبل البدء بالصوم الأربعيني المقدس. القراءة الإنجيلية من لوقا 18: 10-14 هي عبارة عن مثل قَدّمه الربّ يسوع وهو يعكس الحالة الروحية للإنسان عندما يقف أمام الله. المثل عن إنسانان صعدا إلى الهيكل للصلاة والإنسانان الذي قَدّمهما الربّ يسوع في المثل يُمثّلان حالتان مختلفتان - الأول فريسي والآخر عشار.

الفريسيون هم إحدى الفئات الدينية اليهودية الرئيسية التي كانت معروفة عند اليهود. كانت معروفة بحفظ الشريعة والتمسك بحرفية الناموس. لقد وبّخهم الربّ يسوع مراراً كونهم كانوا يهتمون بالمظاهر الدينية دون الجوهر وشبّهم بالقبور المبيضة. مظهر خارجي لامع وجوهر داخلي فاسد مملوء نجاسة. أما العشار فكان جابي الضرائب للدولة الرومانية وكانت فئة العشارين مكروهة عند اليهود لأنهم كانوا يُمثّلون سيادة روما وكثيراً ما كانوا يغالون في تقدير الضرائب ليضعوا الفائض في جيوبهم. لذلك كانوا يُعتبرون خونة وخطأة. هاتان الشخصيتان المتناقضتان جداً صعدا إلى الهيكل ليُصليا. فالعشار الخاطي نزل وعاد إلى بيته مُبرراً، أما الفريسي حافظ الشريعة فقد أُدين بأفعاله.

نوعية الصلاة كشفت جوهر كل من الإثنين. فالفريسي كما يقول الإنجيل هو من بدأ صلاته أولاً بالشكر وكانت صلاته الأطول. الصلاة هي حديث مع الله ولكن يبدو أن الفريسي كان واقفاً يُصلي في نفسه، كان يُصلي مع ذاته وليس مع الله. كان يمدح ويُمجّد ذاته وليس الله الذي هو واقف أمامه. لقد كان شكره لله منطلقاً من عبادته لذاته، هذه الكبرياء الدينية المرتبطة بالأصوام، الصلوات والصدقات دون الإنتباه إلى الجوهر. لقد سقط في خطيئة الإدانة. قال: " أشكرك لأنني لست كسائر الناس الخطأة الظالمين الفاسقين ولا مثل هذا العشار ". لقد كان الفريسي يصوم ويصلي ويُعشر، وهذا مطلوب وضروري بحسب الناموس " الشريعة " إذ أن الإيمان بدون الأعمال ميّت ولكن الفريسي لم يعرف أنّ الله " يفحص القلوب والنيّات أيضاً".

أما العشار، فقد وقف " بعيداً ولم يرفع عينه نحو السماء ". هذه وقفة المُصلي المتواضع. نقرأ في صلاة الأحد " إن مائتت الفريسي فاهرب بعيداً من الهيكل لأن داخله المسيح الذي لديه المتواضع فقط يُقبّل ". لقد وقف العشار من بعيد، لقد شعر بأنه ليس أهلاً أن يقف في هذا المكان المقدس وليس أهلاً لأن يتكلم مع الله. لقد كان يقرع صدره دلالة على التوبة وتائب الضمير. كانت صلاته مُختصرة بجملة واحدة فقط : اللهم ارحمني أنا الخاطي". صلاة قصيرة ولكن خارجة من قلب منسحق ومُتضع. نقرأ في صلاة الأحد " أيها المؤمنون لنصلي في الهيكل المقدس نعمة العشار قائلين اللهم اغفر لنا نحن الخطأة لكي معه ننال الغفران وننجو من تعظّم الفريسي المُهلك ".

هذا المثل الذي قَدّمه الربّ يسوع قد اختارته الكنيسة المقدسة في بداية التحضير للصوم الكبير لندخل في ميدان الصوم والصلاة مُتسلحين بالتوبة والتواضع وانسحاق القلب. المثل اليوم يُعلمنا قيمة التواضع عند ممارسة الفضائل. التواضع هو حارس للفضائل الإلهية وهو السلم المُصعدة إلى الفردوس، فلنواضع ذواتنا يا إخوة كالعشار ولنقرّب للرب تنهداً من القلب ونخرّ له ساجدين حتى يهب لنا غفران الخطايا نحن التائبين إليه، آمين.

الميتروبوليت باسليوس قدسية